

## الفصل الخامس

# منهجية الدراسة وإجراءاتها

obeikandi.com

## مقدمة

في ضوء طبيعة البحث وتساؤلاته فإن التعرف على نظرة المجتمع في إسرائيل - من خلال مناهجها التعليمية - للإسلام والمسلمين والعرب والعروبة، يجعلنا أكثر فهماً للمنهج التعليمي في الدولة قيد الدراسة وما يمثله من محتوى إنساني ووطني موجه نحو مبادئ الآخر وقيمه وحضارته وخصائصه، ووصف الجوانب المختلفة لرؤية هذه النظم، والتوصل إلى المعلومات الضرورية التي تخص هذا الجانب عندهم، بقصد التوصل إلى رؤية للآليات والتفاعلات الذهنية التي تبنى في ضوءها الرؤية والنظرة للعرب والمسلمين في هذه النظم. والتوصل إلى تلك الأمور يستلزم استخدام المنهج الوصفي التحليلي وأدواته The Descriptive Analytical Method باعتبارها المدخل المناسب لتناول هذه التساؤلات، حيث إن الوقوف على وصف الواقع والمتغيرات المؤثرة فيه، والوقوف على الآراء والاتجاهات الواردة في الكتب نحو العرب والمسلمين يمثل ركناً أساسياً لفهم تلك النظم والظروف التي تنمو خلالها الأفكار، وفي هذا

المجال يشير بورج وجال (Borg and Gall, 1989) إلى أن المنهج الوصفي التحليلي بمدخله المتعددة يُعد أكثر مناهج البحث ملاءمة لدراسة مثل هذه القضايا.

ورغبةً في مواكبة أحدث التقنيات المنهجية والأدوات العلمية المعاصرة، فإن المنهج المتبع في هذه الدراسة يعتمد على المزاوجة بين أسلوبين في التحليل: تحليل المحتوى وتحليل الخطاب من أجل استثمار المعطيات المفيدة لهما؛ ذلك أن الوقوف عند حد الوصف الكمي - الظاهري لمضمون الرسالة (تحليل المحتوى) أمر غير كافٍ، لأنه لا ينفذ إلى أعماق دلالات الرسالة ويحاول سبر أغوار بنية النص العميقة (تحليل الخطاب)، أو ما يعبر عنه بـ «القراءة التأويلية للنص» نحو استنطاق مختلف الرموز والإشارات التي يحيل إليها النص، أو ما يعبر عنه بـ (ما لم يقله النص، أو ما سكت عنه النص). ولعل هذه الفكرة من المفاصل الخطرة للخطاب (أي خطاب) وذلك أن الخطاب (بوصفه إنتاجاً معرفياً) يتوسل بطرق وآليات تزعم لنفسها الموضوعية والحيادية، بينما هي في التحليل العميق قد تكون خطابات مخاتلة ومخادعة وغير بريئة.

وسوف توظف آليات تحليل الخطاب (التحليل الكيفي) من خلال الفوص في المعاني التي تتضمنها لغة المناهج و الكتب الدراسية قيد الدراسة وأسلوبها ومحتواها، ومحاولة قراءة النص والبحث عن أنماط المعاني المتكررة وأنماط العلاقات بينها ودلالاتها، والخروج بتفسيرات لها. واشتمل تحليل النص أيضاً على تحليل الشخصيات والصور التي احتوتها تلك المناهج، للخروج بتصور.

## تحليل المحتوى

حاول عدد من التربويين تعريف تحليل المحتوى تعريفاً إجرائياً، فهو أسلوب منظم لتحليل محتوى رسالة معينة، وهو أداة لملاحظة وتحليل السلوك الظاهر للاتصال بين مجموعة منتقاة من الأفراد «القائمين بالاتصال»، كما يرى Budd. R.W.، في حين يرى Bereison أنه أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمّي للمضمون الظاهر لمادة من مواد الاتصال (نقلاً عن: سعيد وعمار، 1996، ص 155).

ويؤكد (طعيمة، 1983) بأن تحليل المحتوى طريقة لدراسة مواد الاتصال وتحليلها بأسلوب منظم وموضوعي وكمّي لقياس المتغيرات. بينما ذكر (حسين، 1983) تعريفاً شاملاً لتحليل المضمون في ضوء استخداماته في الدراسة الإعلامية إذ يقول: «تحليل المضمون هو أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن أن يستخدمه الباحثون في مجالات بحثية متنوعة، وعلى الأخص في علم الإعلام لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون». أما (نادية سالم، 1983) فقد ذكرت تعريفاً يضم الوظائف الرئيسية التي يقوم بها تحليل المحتوى، إذ تقول: «تحليل المضمون هو أداة منهجية للدراسة الكمية، وأداة الاتصال، وأداة لاختبار فروض معينة عن مادة الاتصال وأداة للتوقع، وتكمن أهمية تحليل المضمون في كونه منهجاً لدراسة الظاهرة محل التحليل في حالتها الديناميكية» (ص 43-61).

يرى (عبد الحميد، 1404 هـ) أن التحليل الكمي من أبرز سمات تحليل المحتوى، حيث يلجأ الباحث من خلال الأساليب والطرق الإحصائية إلى تبويب وتصنيف الفئات المحددة، وجدولة الوحدات وقياسها والتعبير عن النتائج بقيم عددية تحدد المدى الذي تقع فيه هذه الوحدات. ويمكن حصر فوائد التحليل الكمي في العناصر الآتية:

- تحقيق الموضوعية والتقليل من أخطاء التحيز.
- إمكانية التحقق من صدق التحليل.
- إمكانية التحقق من ثبات النتائج.
- إمكانية إعادة التحليل وإجراء التجارب.
- البعد عن العبارات الإنشائية التي تصف انطباعات القارئ أكثر مما ترصد تكرار الظواهر. ولا يعني هذا الاكتفاء بالتحليل الكمي وإهمال التحليل الكيفي كما سنوضح ذلك بعد قليل.

وتجدر الإشارة إلى أن الهدف الأساس للبحث العلمي هو أن يتخطى مجرد وصف الظواهر إلى تقديم تفسير لها، حيث يجب ألا يقتنع الباحث بتسمية الظاهرة أو تصنيفها أو وصفها، ولكن ينبغي أن يسعى إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء حدوث الظاهرة حتى يستطيع صياغة تعميمات قابلة للتحقيق والاختبار تفسر كيف تعمل المتغيرات في هذه الظاهرة والظواهر الأخرى المشابهة (عبد الحميد، 1404 هـ).

ومن هنا فإن التركيز في هذه الدراسة سوف يعتمد أساساً على التحليل الكيفي لأن هذا المنهج يتناسب مع طبيعتها ويمكن أن يحقق أهدافها، مع عدم إهمال الجانب الكمي في التحليل. وتتركز الاستخدامات المحتملة لتحليل المحتوى على الآتي:

- 1 - إيضاح الفروق العالمية (أو الدولية) في التواصل من خلال المحتوى.
- 2 - تحديد التوجهات على مستوى الأفراد والجماعات والمؤسسات.
- 3 - وصف الاتجاهات والسلوك الإيجابي نحو التواصل.
- 4 - تحديد وإظهار الجوانب النفسية والعاطفية للأشخاص والجماعات.

## تحليل الخطاب

غني عن البيان أن نشير إلى أننا لا نَعْنَى هنا بشكل مباشر بمناقشة الخلفيات الفكرية والفلسفية والأيدولوجية لمفاهيم «الخطاب، والمعرفة، والسلطة»، وغيرها من مفاهيم نظرية وضوابط إجرائية تتعلق بتحليل الخطاب بوصفه أحد منجزات النظرية النقدية الحديثة، وخاصة عند عرابها ميشل فوكو. وسوف نقتصر هنا على الحديث عن مفهوم «الخطاب» وتحليله وتأويله وعلاقته بالتاريخ والنظام المعرفي أو الاستيمى، وذلك بالقدر الذي يساعدنا على فهمه وتوظيفه في هذه الدراسة.

يرى (الجابري، 1988 م) أن «الخطاب» هو مجموعة من النصوص التي تشكل خطاباً أو فكراً. فالخطاب باعتباره مقولة الكاتب هو بناءٌ من الأفكار يحمل وجهة نظر، أو هو هذه الوجة من النظر مصوغة في بناء استدلالي يتضمن مقدمات ونتائج.

ويشير (بغورة، 2001م) إلى أن للخطاب - بهذا المفهوم - جانبين، الأول ما يقدمه الكتاب وهو الخطاب، والثاني ما يقرؤه القارئ وهو التأويل. وهذا يعني أن هناك قراءتين للخطاب وتحليله: القراءة التأويلية أو التشخيصية التي يعيد فيها القارئ بناء القضايا والمفاهيم المتبناة في الخطاب، ويقدم وجهة نظره فيها (وهذا النوع من القراءة هو المقصود

(هنا)، والقراءة الاستساخية، وهي التي تقف عند حدود التلقي المباشر (الجابري، 1988م).

وتتبع أهمية تحليل الخطاب وفاعليته في توضيح المسكوت عنه في بعض النصوص، ورفع الأفتعة التي يتمترس خلفها بعض أنواع الخطاب من خلال توظيفه لمفاهيم ومصطلحات ومقولات تاريخية واجتماعية وسياسية تبدو عند القراءة الأولى السطحية أخلاقيةً ومتساميةً، ولكنها تخفي وراءها غايات غير بريئة تقوم على مفاهيم السيطرة والهيمنة والتهميش والظلم، وذلك عند فحص منظومتها الخطابية-المعرفية.

وفي هذا السياق يرى فوكو (1994م) أن الخطاب التاريخي يكشف عن دوام الحرب في المجتمع، إنه خطاب تاريخي وسياسي أساساً، خطاب تعمل فيه الحقيقة سلاحاً من أجل انتصار منحاز، خطاب نقدي بشكل مبهم، وهو في الوقت نفسه خرايف إلى حدٍ كبير.

بالإضافة إلى ما تقدم، فإن النص التاريخي يعد فضاءً واسعاً وممتداً قابلاً للقراءات المتعددة والتأويلات اللانهائية على المستوى الاستيمى (المعريف).

وعندما يتحول النص التاريخي - مثلاً - إلى نص تربوي فإنه يصبح مصدراً مهماً لتشكيل الهوية، وتعزيز الانتماء الثقافي والديني، وتحسين الذات وشنها قيماً ووجدانياً ومن ثم مسلكياً؛ أي أن النص يفقد صفته «التاريخية» من حيث إنه نصٌ مفتوح واسع الفضاء متعدد الاحتمالات والقراءات معرفياً، ويصبح نصاً تربوياً مغلقاً موجهاً أو دوغماتياً من

حيث تقديمه وتبنيه لتفسير واحدٍ للوقائع والأحداث التاريخية بما يعزز قيماً ومفاهيم مقصودة لدى الناشئة (العقيلي، 2003م).

### عينة الدراسة ومعايير اختيارها

سوف تكون عينة الكتب المنتقاة للتحليل في هذه الدراسة وفقاً للمعايير الآتية:

- 1 - المعيار الخاص بالمراحل الدراسية وتقسيماتها.
- 2 - المعيار الخاص بنوع الحقل العلمي للمواد المحللة: حيث تزوج الدراسة بين مواد العلوم الاجتماعية (التاريخ والجغرافيا والمواطنة مثلاً) والعلوم اللغوية (اللغة وآدابها والمختارات القرآنية المقدمة للطلاب). وسيتم اختيار كتاب أو كتابين من كل حقل علمي (العلوم الاجتماعية والعلوم اللغوية).
- 3 - المعيار الزمني: حيث تقتصر الدراسة على اختيار الكتب المدرسية المنتجة في السنوات العشر الأخيرة (1993-2003)؛ وذلك رغبة في جعل نتائج الدراسة أكثر معاصرة ومطابقة لما هو حادث وقائم فعلاً.

بقي أن نسجل أن هذه المعايير مؤسسة بشكل جيد في العلوم التربوية والاجتماعية (Robson, 1993)، ولها ما يساندها في الدراسات السابقة التي استعرضنا بعضاً منها كما مرّ معنا.

## أداة الدراسة

### أداة تحليل بعض الكتب الدراسية في إسرائيل

أولاً: معلومات عامة عن الكتاب

- > عنوان الكتاب
- > المؤلف
- > دار النشر
- > سنة النشر
- > لولاية/ المقاطعة التي يدرس بها الكتاب
- > المرحلة الدراسية للكتاب
- > السنة الدراسية التي ألف لها الكتاب
- > عدد فصول الكتاب
- > عدد صفحات الكتاب
- > الموضوع العام للكتاب

ثانياً: القيم والمفاهيم التي يتناولها الكتاب

#### البعد الإسلامي

- > الدين
- > الإرهاب
- > التطرف
- > الجهاد
- > الغزو العربي والتوسع الإسلامي
- > المرأة في الإسلام
- > الرسول محمد

> النظرة إلى القرآن (كلام الله تعالى - كلام محمد)

> القصاص

> أركان الإسلام (الصلاة، الزكاة، صوم رمضان، الحج)

> حقوق الإنسان في الإسلام

> ظهور الإسلام وحياة العرب قبله

> الاعتراف بالإسلام كدين إلهي

> تصوير الإسلام بوصفه دين القواعد والخضوع

> الأحداث الإسلامية وعرضها في سياقها التاريخي

### البعد القومي

> الأقليات الإسلامية

> الهجرة العربية الإسلامية إلى الغرب

> البلاد العربية

> البلاد الإسلامية غير العربية

> العرب وإسرائيل (الصراع العربي الإسرائيلي- النظرة إلى حق

اليهود في البقاء في أرض فلسطين)

> فكرة السلام

> مفهوم العالم العربي (هل هو أشتات أم كيان خاص ومجال قائم

بذاته، وهل يستخدم أم يستبدل الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

والصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية...)

> فكرة العدوان والدفاع عن النفس وتوظيفهما في تبرير الحروب

### البعد الاجتماعي

> الشورى

> البداوة (الصحراء، الجمل، الخيمة، وربط البداوة بالبربرية  
... إلخ)

> الرق و العبودية في المجتمع الإسلامي

> صورة الرجل العربي

> صورة المرأة العربية (الحجاب، تعدد الزوجات إلخ).

> العادات والتقاليد (الطعام، الملابس إلخ).

> مفهوم النمذجة (طبيعة النماذج التي تعرض بواسطتها صورة  
العرب والمسلمين)

> مشكلة العنصرية

> مفهوم التمدن والتحضر (تشير إحدى الدراسات أن مفردتي  
التحضر والعربي لا يجتمعان أبداً في الكتب الجغرافية الفرنسية)

> نمط الحياة العربية

> الرؤية المثالية (وليست البشرية) للعرب والمسلمين وعلاقة ذلك  
بالثبات والتحول في الحياة عامة

> العربي - المسلم تكالي كسول أم مجتهد منتج

> التسامح عند العرب والمسلمين

> مفاهيم البطولة والشجاعة والجبن والفرار

> الانتقائية في عرض الأحداث وتهويلها أو تبسيطها

### البعد الحضاري

> الحضارة الإسلامية (النظرة إلى علماء العرب والمسلمين، تهميش

دور العرب في بناء الحضارة الإنسانية، الأماكن المقدسة، أعياد

المسلمين ... إلخ.)

- > مركزية الحضارة الغربية (جعلها نموذجاً ومعياراً تقاس به القيم والمفاهيم وأنماط السلوك)
- > سيطرة مفهوم الأنا الحضاري والثقافة في مقابل هامشية الآخر
- > التاريخ الإسلامي (الشخصيات البارزة، المعارك المشهورة، إلخ.)
- > مفهوم الماضي وتقديم العرب من خلاله (تجنب الحاضر العربي وحياتهم الثقافية المعاصرة)
- > حضور أو غياب العنصر الإنساني في الحياة حين الحديث عن العرب والمسلمين
- > المصادر التي تستقى منها المعلومات حول العرب والمسلمين
- > الربط بين العرب والإسلام والقرون الوسطى
- > الفقر الثقافي والحضاري للعرب والمسلمين
- > التقليد والإبداع في الحضارة (هل العرب والمسلمون مبدعو حضارة أم أنهم مجرد حقاظ لها ومن ثم يعيدون إنتاجها)
- > المدن والعمار والفنون العربية والإسلامية
- > الشخصية العربية-الإسلامية (هل تتحدد بالعلاقة مع جماعة خارجية مثل الأوروبيين أم جماعة داخلية مثل البربر والإسرائيليين)
- > ما دور الشخصية العربية-الإسلامية في القصص والأحداث؟ (دور مرشد، خادم، زعيم قبيلة فقيرة خاضعة، عامل، جزار، راعي غنم...)
- > هل تاريخ الحضارة الإسلامية هو تاريخ لانقسامات مستمرة؟
- > التعدد والتنوع في العالمين العربي والإسلامي أم اختزالهما في

## بوقة واحدة

- > الصراع والمواجهة بين الغرب والشرق العربي-المسلم
- > العقلية الخرافية الأسطورية في مقابل العقلية المفكرة الواقعية
- > كيف يقدم التاريخ العربي - الإسلامي مقارنة ذلك باليهود؟
- > الاستثمار السياسي في تفسير الأحداث والمبالغة في تعميم نتائجها

## البعد الاقتصادي

> البترول

> الثروة

> الفقر

## ثالثاً: نظرة عامة للكتاب

> هل يتضمن الكتاب نظرة محايدة للإسلام والمسلمين أو العرب والعروبة؟ وكيف؟

نعم ( ) لا ( )

> هل يتضمن الكتاب نظرة إيجابية للإسلام والمسلمين أو العرب والعروبة؟ وكيف؟

نعم ( ) لا ( )

> هل يتضمن الكتاب نظرة سلبية للإسلام والمسلمين أو العرب والعروبة؟ وكيف؟

نعم ( ) لا ( )

> ما نسبة ما احتواه الكتاب عن الإسلام والمسلمين أو العرب والعروبة بالنظر لعدد صفحات الكتاب؟

> ما نوع وطبيعة اللغة المستخدمة في عرض المعلومات والمفاهيم؟

- > هل هناك تركيز على قيم أو مفاهيم بعينها؟ وكيف؟
- > هل المحتوى يعكس ثقافة وأسس المجتمع الذي ينتمي إليه؟ وكيف؟
- > كيف تقدم القضايا والموضوعات الخلافية؟ هل هناك إيراد لوجهة النظر الأخرى؟
- > ما دلالات الصور والوسائل والإيضاحات والأسئلة المصاحبة؟
- > هل هناك توظيفات متنوعة للسلطات المعرفية المتعددة، مثل سلطة الصورة النمطية، سلطة اللغة، سلطة التاريخ، سلطة التراث الاستشراقي....؟ وكيف؟
- > ما نوع المعجم الدلالي السائد؟

